مجلة فصلية لحوار الأفكار والثقافات

منبر الحوار

ملف:

الفلسفة الاسلامية في مجتمعاتها

محمد عماره — علي زيعور

مصطفى النيفر — رفيق العجم

- الاصلاح الفكري والاصلاح المؤسسي — طارق البشري
- اشكالية الاجتهاد المعاصر — أحميده النيفر
- استقراء المستقبل — عطية حسين أفندي
- المعطيات النفسية في حرب الخليج — منى فياض
- الأقمار الصناعية ودورها في الاتصال — علي رزق
- الديموغرافيا والحرب — حلا نوفل
- هجرة اليهود السوفييت — جورج المصري

السنة السادسة، العددان 21 و 22 ـ صيف وخريف 1991 م.

مجلة فصلية لحوار الأفكار والثقافات

منبر الحوار

أسَّسها

فاضل رسول عام 1986

مستشار التحرير

وجيه كوثراني

مديرة الادارة

سوزان رسول

المدير المسؤول

نديم آل ناصر الدين

إصدار : دار الكوثر

بيروت ـ لبنان

ص . ب. 5802 - 13

السنة السادسة، العددان 21 و 22 ـ صيف وخريف 1991 م.

استقراء المستقبل Futurology (*)

دراسة أولية في علم وليد

عطية حسين أفندي(**)

«منذ نشأة الحياة الأولى وعبر سلسلة كاملة من المراحل المذهلة أفضى التقدم إلى وجود.... الإنسان بوصفه العالم الأصغر الذي يملك عقلاً وذكاء قادرين على اكتساب المعرفة واستشفاف المستقبل، وإدراك ان قفزات هائلة من التقدم مساوية لما أنجز من قفزات ـ وان كان يستحيل بنفس القدر تصورها سلفا ـ يمكن ان تحدث خلال السنين المقبلة.

جوليان هكسلي، أول مدير عام لليونسكو في خطابه في الدورة الاولى للمؤتمر العام 1946 عن «إعادة تعريف التقدم».

منذ بداية التاريخ البشري والإنسان لا يتوقف عن التطلع إلى المستقبل محاولاً التعرف على ملامحه وكشف أسراره وفك طلاسمه، فتاريخ الاهتمام بالمستقبل واستطلاعه قديم قدم الإنسان نفسه، وقد كان ولا يزال جزءاً اساسياً من تفكير الإنسان في نفسه وفي

---

* يميز البعض بين مصطلح علم استقراء المستقبل Futurology وبين مصطلح المستقبلية Futurism على أساس أن الثاني يشير إلى حركة فنية ظهرت مع بيان إيمليو مارينيتي (1876-1944) (المانيفستو المستقبلي) الذي نشره في جريدة الفيجارو عام 1909 وأصبحت عام 1922 جزءاً من الأيديولوجيا التي تدين بها إيطاليا الفاشية، ومن أبرز معالمها الإصرار على الدينامية وعبادة السرعة والآلة ونزعة الحرب. وهي لم تقتصر على الفن التشكيلي بل تعدته إلى الأدب والموسيقى ومختلف الفنون البصرية، على أن جمهرة الباحثين يتناولون المصطلحين على أنهما مترادفين، والمهم هنا أن هذه الدراسة تتعلق وتدور حول الدراسات التي تأخذ بالمنهج العلمي في مجال التطلع إلى المستقبل في محاولات جادة لكشف أبعاده وسبر غوره وفك رموزه.

** د. عطية حسين افندي ـ مركز البحوث والدراسات السياسية ـ كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة.

الحياة والكون وتصوراته عنهما، وهو ما يمكن الاستدلال عليه من مواريثه الاسطورية وعقائده الدينية، فهو يحاول أن يخترق حجب المستقبل القائمة أمامه متسائلاً عن مصيره ولولا ذلك لظل سادراً في أحضان الطبيعة عاجزاً عن التقدم والرقي.

وعبر قرون عديدة من تاريخ البشرية تبنى الكهنة وعلماء الدين والفلاسفة نظرية الكون الذي يكرر نفسه في دورات ما بين خير وفساد، ولم يأت المفكرون بنظريات أفضل لتأويل حاضر ومستقبل البشرية لاستبعاد «الهدف» ودور «الأجيال التالية»، وظل الأمر متعلقاً في مجال التطلع إلى المستقبل باليوتوبيا أو الفردوس أو الدار الآخرة، وأما اليوم فإن تصور المستقبل والأهداف ودور الأجيال التالية أصبح يتمتع بنصيب أوفر في بناء الحاضر ورسم ملامح المستقبل[1].

إن العقل، الذي هو ميزة الإنسان وسبيله إلى الراحة والرخاء والتقدم، وهو نفسه مصدر حيرة الإنسان وقلقه وتوتره، مهمته الأساسية المعرفة والإحاطة بما مضى لأخذ العبرة والمعرفة والإحاطة بالحاضر لتأسيس التدابير، والتنبؤ بما سيأتي به المستقبل للتهيؤ له وتحسينه وتحقيق أكبر نفع ممكن[2].

ولقد اصطنع الإنسان أساليب عديدة لاستكشاف المستقبل كان اعتمادها في المقام الأول على التنبؤ، وإن تباينت التصورات الفلسفية بين تقصي الحقائق والوقائع المادية ومحاولة الوقوف على الاتجاهات العامة المستقبلية[3].

غير ان العالم لم يعد على بساطته الأولى، فقد ازدادت مشكلاته وتعددت أزماته بقدر تقدمه ورقيه، ومن ثم لم تعد معرفة المستقبل مجرد حاجة نفسية للاطمئنان على ما سيحدث أو محاولة التعرف على ما يخبئه القدر وإنما أصبح التعامل مع الحاضر نفسه وما يجري فيه شبه مستحيل ما لم تكن هناك معرفة بما سيحدث في الزمن القادم.

من هنا أصبح التنبؤ والدراسات الخاصة بالمستقبل تشكل موضوعاً من أهم الموضوعات التي تشغل علماء مختلف تخصصات الطبيعية والإنسانية، وأصبحت تشكل

(1) في تفصيل ذلك راجع به كارل بيكر، المدينة الفاضلة، ترجمة وتقديم محمد شفيق غربال، طبعة أولى القاهرة، مطبعة مصر، 1955.

(2) أحمد إبراهيم الشريف، الحتم والحرية في القانون العلمي، المكتبة الثقافية العدد 79، 1972، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص 3-4.

(3) في أنماط محاولات الإنسان استطلاع واستكشاف المستقبل، أنظر د. قسطنطين رزيق، نحن والمستقبل، بيروت: دار العلم للملايين، 1977، ص ص 65-82، وهي كما يسميها: البدائي ـ العقائدي ـ التخيلي ـ والعلمي.

مادة (علم جديد) أطلق عليه المختصون اسم (علم استقراء المستقبل) Futurology وهو أحدث (العلوم) التي ظهرت حتى الآن.

فما هو هذا (العلم)؟ ما هي قواعده المنهجية ومستويات دراسته؟ ما أشهر مؤسساته في العالم؟ أين موقف العرب من الدراسات المستقبلية؟ واخيراً ما هي الضوابط التي يجب أن ترد على تلك الدراسات؟.

وقبل ذلك كله وبعده هل يمكن أن نطلق وصف «العلم» على ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية أم أنه لا يزال في طور التكوين في أصوله والتراكم في خبراته؟

في محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات تتناول الدراسة النقاط التالية:

(1)المستقبل بين الإبداع والعلم والبحث العلمي.
(2) بدايات الاهتمام بالدراسة العلمية للمستقبل.
(3)مستويات ومناهج الدراسات المستقبلية.
(4)العرب والدراسات المستقبلية.
(5)أشهر مؤسسات الدراسات المستقبلية في العالم.
(6)شروط ومتطلبات واجبة في الدراسات المستقبلية.

(1)المستقبل بين الإبداع والعلم والبحث العلمي

يحظى موضوع الإبداع باهتمام واسع في الوقت الحاضر لا سيما وان المجتمعات تسير بخطى حثيثة من أجل تقدمها وأنه عبر هذه المسيرة لا بد من مواجهة مشكلات اجتماعية واقتصادية وعلمية... الخ تحتاج إلى الإبداع والابتكار في كل مجالات النشاط الإنساني.[4].

ومعنى الإبداع في اللغة إحداث شيء جديد على غير مثال سابق، ويتمثل جوهره في نشاط الإنسان الذي يتصف بالابتكار والتجديد في مختلف المجالات الأدبية والفنية والعلمية بشرط توافر أحد صفتين أو كلاهما: الأحداث بمعنى ظهور الأفكار والإنتاج إلى حيز الوجود الفعلي، والتكوين والصنع والذي يتمثل في وجود مادي جديد للشيء[5].

---

(4) الكسندرو روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة د. غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، الكويت، العدد 144، جمادى الأول 1410 هـ ديسمبر (كانون أول) 1989، ص 13.

(5) د. عبد الحليم محمود السيد، الإبداع، سلسلة كتابك، العدد 154، القاهرة، دار المعارف، 1977، ص 7.

ويدخل تحت معنى الإبداع الاختراع، الاكتشاف، الإبداع الفني والأدبي ويمكن اعتبار الإبداع الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل ذي قيمة من قبل الفرد أو الجماعة وهو تحديداً النشاط أو العملية التي تقود إلى إنتاج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة من أجل المجتمع، أما الإبداع بمعناه الواسع (العام) فهو إيجاد حلول جديدة للأفكار والمشكلات والمناهج . . . الخ إذا تم التوصل إليها بطريقة مستقلة حتى لو كانت غير جديدة على العلم والمجتمع[6].

إن الإبداع شكل راق للنشاط الإنساني، وقد أصبح منذ الخمسينات من هذا القرن مشكلة هامة من مشكلات البحث العلمي في عدد كبير من الدول، فبعد أن حلت المكننة في إطار الثورة النفسية العلمية المعاصرة، وتكونت ظاهرة النشاط العقلي الذي يعيد العمل آلياً وروتينياً، ازداد الطلب أكثر فأكثر على النشاط الإبداعي الخلاق، فالتقدم العلمي لا يمكن تحقيقه من دون تطوير القدرات المبدعة عند الإنسان.

وهذا التطوير من مهام العلوم الإنسانية عامة وعلم النفس في دراسة الإبداع خاصة، وهنا تبرز أسماء جيلفورد Guilford هلافسا Halvsa، فرنون Vernon، بارنز Parnes، هاردينج Harding، جوردون Gordon، تيرمان Terman، كوكس M.Cox ماكينون Mackinnon، روبنشتاين S.L Rubinstein، مالتزمان Maltzman، ميدنيك Mednick وغيرهم[7].

هذا عن الإبداع فماذا عن العلم؟

ليس من السهل إعطاء جواب كاف وواضح عن هذا السؤال، فقد اختلف تعريف الناس للعلم على مر العصور كما اختلفت مفاهيمه وقيمه عندهم ويمكن الاستدلال على ذلك بتتبع العلم عند فلاسفة الإغريق، العرب، وفلاسفة عصر النهضة الأوروبية. وإن كانت كلها تعريفات تراثية كلاسيكية فلنبحث عن ماهية المدرك الذي يقفز إلى أذهاننا حين نسمع كلمة علم بمعنى Science .

كلمة علم Science مشتقة من الكلمة اللاتينية (Scientia) والتي تعني لاجل المعرفة (To Know) وتم تداول واستعمال هذا المصطلح من قبل الكثيرين لتسمية جوانب معرفية متنوعة [8].

---

(6) الكسندرو روشكا، مصدر سابق، ص 19.

(7) المصدر السابق، ص ص 13- 26.

(8) د. عماد الخالدي، أسلوب البحث العلمي، مجلة الإدارة العامة، الرياض، العدد 39، محرم 1404 هـ / أكتوبر 1983، ص 122.

غير أن لفظة(علم) العربية لاتقابلها كلمة(Science) الإنجليزية تمام المقابلة ثم ان كلمة(أدب) أو(آداب) العربية تنصب على أساليب النثر والشعر وأنواعها من أقاصيص وروايات في حين أن كلمة (Literature) الإنجليزية تشمل كل ما هو مكتوب أما كلمة (Art) أو (Arts) فتضم كل الفنون قاطبة المحسوسة منها وغير المحسوسة حتى أن اسلوب عرض البحث العلمي التجريدي قد يسمو حتى يصير فناً[9].

على أية حال تتعدد تعريفات العلم، فثمة تعريف أكاديمي موجز يقول بأن العلم هو مجموعة الخبرات الإنسانية التي تجعل الإنسان قادراً على التنبؤ، فإذا ذكرنا أن الكون تنظمه قوانين وأن معرفة أي من هذه القوانين حق المعرفة تعني معرفة أسبابه ومسبباته ونتائجه ومن ثم يكون التنبؤ، أدركنا أن التعريف يعني معرفة القوانين التي تنظم الكون[10] .

ومن تعريفات العلم ايضاً انه مجموعة المعارف الإنسانية التي من شأنها أن تساعد على زيادة رفاهية الإنسان أو أن تساعده في صراعه في معركة تنازع البقاء وتغلب الاصلح[11].

غير أن هذا التعبير (العلم) برغم ذيوعه يظل محصوراً في أكثر الأحيان بالاهتمامات الموجهة إلى الطبيعة كالفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والزراعة وما شابه ذلك ونادراً ما يتجاوزها إلى سواها، وهذا الانحياز إلى العلوم الطبيعية ورد إلينا من الغرب الحديث حيث انطلقت المعرفة إلى اكتشاف اسرار الطبيعة واصطناع الاساليب والأجهزه الآلية في سبيل السيطرة عليها ضبطاً لقواها واستغلالاً لمواردها، حيث لم يعرف التراث العربي مثيلاً لهذا الانحياز، إذ كان لفظ العلم ينصرف إلى مختلف دروب المعارف من (العلوم) الدينية، كالتفسير والحديث والنقد والكلام إلى (العلوم) اللغوية والأدبية إلى (علوم) الحكمة الطبيعية والفلسفية. كما أن هناك سبباً آخر لهذا الانحياز وهو «قياس العلم» على أساس قدرته على استنباط القوانين ودقته في استخلاص النتائج الأمر الذي يتوافر في مجالات الطبيعة أكثر مما يتواجد في شئون الإنسان.

ومع ذلك إذا كان (العلم) يدل عند بعض الكتاب على نمط تفكير راقٍ، وعند بعضهم الآخر يعني كياناً لمعرفة حقيقة المحتوى، ولا يزال يعني عند فريق ثالث التحقيق

---

(9) د. أحمد سليم سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة 131، تشرين الثاني / نوفمبر 1988 ، ص 13.

(10) المرجع السابق، ص 17.

(11) المرجع السابق، ص 15.

الموضوعي لظاهرة أصيلة، فإنه أصبح من المتفق عليه إلى حد كبير خطأ قصر إطلاق كلمة (علم) على جانب واحد من جوانب المعرفة وهو الذي مجاله المادة القابلة للتجربة والاختبار أو التحليل المنطقي القائم على البرهان الرياضي، إذ ان مقتضاه حصر العلم في هذا الجانب وإخراج ما عداه من دائرته مما يتعلق بالإنسان من تاريخ واجتماع وسياسة وديانة ولغة وفلسفة و. . . و (مستقبل) ومؤداه ايضاً التقسيم إلى تخصص (علمي) وتخصص (إنساني) متلازما مع شعور ظاهر أو خفي بأن المعرفة البشرية نوعان: علمية كل مقولاتها حقائق وإنسانية تقوم على الظن والتخمين[12].

من هنا لا بد من توسيع مدلول العلم والتأكيد على شمول المعرفة التي يمثلها العلم وعلى انها لا تقتصر على فرع دون آخر.

وايضاً إذا كان المطلوب ان تكون المعرفة شاملة فإنها يجب ايضاً ان تكون متجددة بل إن تجددها هو الضامن لصحتها وسلامتها، وإدارة النشاط والتجديد في ميدان المعرفة هو «البحث العلمي» في مختلف القضايا التي تواجه الإنسان والذي يتجاوز مجرد الاطلاع على معرفة مكتشفة سابقاً ليسعى إلى اكتشاف حقائق جديدة. وإذا كان العلم لا يقتصر على حقل محدد واحد وأنه ليس أي كيان لمعارف عامة أو خاصة لانه لم يتم توحيد كيانه استناداً إلى حقوله المختلفة بل إلى أسلوب بحثه، فإذن يعني العلم كل المعرفة المجمعة بواسطة أسلوب البحث العلمي.

فالعلم إذن هو المعرفة التي يتم تحقيقها بأسلوب البحث العلمي المنتظم الانتقادي ويهدف إلى تحقيق تراكم كمي ونوعي للمعارف يمكن الإنسان من التفسير والفهم والتنبؤ والسيطرة على ظواهر الحياة التي تحظى باهتمامه ليتمكن من تسخير هذه المعارف المحققة لخدمته وإنجاز تقدمه الحضاري. إن جوهر العلم هو التطلع إلى الأمام (المستقبل) وليس هناك أحد في وضع أفضل من الباحث العلمي يمكنه ان يسهم عن طريق الجمع بين التحليل والخيال والتصميم الذي ينطوي عليه السعي للأمام، في النشاط الهادف الدؤوب المتواصل لتحسين مصير الإنسان أو بناء المستقبل.

وهدف البحث العلمي هو نفسه هدف العلم، فعملية البحث العلمي عملية هادفة تسعى إلى تزويد الإنسان بالمعرفة المحققة وتمكنه من خلال تطبيق نتائجه، من حل مشكلاته واتخاذ قراراته بشكل يمكن من تحقيق أهدافه كفرد أو جماعة.

---

(12) د. راشد المبارك، المقولات العلمية بين التغير والثبات، مجلة العربي، العدد 377، أبريل 1990، ص 44.

وبصفة عامة يطلق مصطلح (اسلوب البحث العلمي[13]) على نمط التفكير المنتظم الانتقادي الهادف والأصيل في دراسة العلاقات بين متغيرات الظواهر موضوع التساؤل أو البحث، ودون الدخول في تفصيلات وتعريفات يمكن عرض أهم صفات البحث العلمي فيما يتصل بموضوع الدراسة كما يلي: ـ

(1) البحث العلمي يهدف إلى الحصول على جواب أو حل لسؤال أو مشكلة مطروحة.

(2) يهدف البحث العلمي من اجابته عن السؤال أو حله للمشكلة المطروحة إلى وصف وتصنيف وتفسير أو التنبؤ بالعلاقات بين متغيرات الظاهرة موضع البحث والتي تشكل مشكلة يترتب على حلها تطبيقات ذات فوائد.

(3) البحث العلمي يتبع أسلوباً انتظامياً Systematic بحيث لو تم تكراره Replicated بدقة من قبل باحث آخر لأتى بنفس النتائج تقريباً.

---

(13) تتعدد المراجع التي تتناول العلم والبحث العلمي، وقد انتقينا منها المراجع التالية لصلتها المباشرة والوثيقة بموضوع الدراسة:

- د. جون ب. ديكنسون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، الكويت، عالم المعرفة، 112، شعبان 1407 هـ/ أبريل (نيسان) 1987 م ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو.
- فراتز روزنتال، مناهج علماء المسلمين والبحث العلمي، بيروت: دار الثقافة، 1961.
- د. توفيق، فرج، د. فيصل السلم، مقدمة في طرق البحث في العلوم الاجتماعية، الكويت: جامعة الكويت، 1977.
- د. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط 7، الكويت: وكالة المطبوعات، 1984.
- د. عبد المحسن صالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، العدد 48، ربيع أول 1502 هـ /ديسمبر (كانون أول) 1981.
- روبرت. أغروس، جورج ن. ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة د. كمال خلايلي، عالم المعرفة، 134، جمادي الآخرة 1409 هـ /فبراير (شباط)، 1989.

— The New Story of Science, Robert M. Augros, George N. Stanciu, New York, 1984.
— Mason, S. F. A History of The Sciences.
— Main Currents of Scientific Thought, London: Routledge and kegan Paul, 1953.
— Conant, J. B, Modern Science and Modern Man, New York: Columbia University Press, 1952.
— Shills, E., (ed), Criteria for Scientific Development, Public Policy and National goals, Cambridge, Mass, MIT Press, 1968.
— Tondl, Ladislav, Man and Science, Prague: Institute for the theory and Methodology of Science of The czechoslovak Academy of Sciences, 1969.
— Rahman, A., Anatomy of Science, Delhi: National Publishing House, 1972.
— Ravetz, J. Scientific knowledge and its Social products, London: Penguin Books, 1973.
— Scientific Thought: Some underlying concepts, Methods and procedures, A collection of articles by twelve eminent Sientists from different world regions edited by the Division of philosophy of the secretarait of unesco, Paris. Unesco, the Hague, Mouton, 1972.

(4) يسعى البحث العلمي إلى زيادة المعرفة الإنسانية وذلك بتطوير النظريات أو الكشف عن مبادىء عامة تحكم العلاقات بين المتغيرات بغية التنبؤ والتحكم في هذه المتغيرات والتي تؤدي إلى وقوع الظواهر مما يزيد من قدرة الإنسان واستعداده لتغيير هذه الظواهر بما يحقق أهدافه.

(5) البحث العلمي الذي تتحدث عنه الدراسة ذو وجوه ثلاثة:

- البحث الأساسي أو البحث الذي ليست له غاية سوى زيادة المجهول والوصول إلى حقائق جديدة.

- البحث التطبيقي وهو الذي ينصرف إلى الوفاء بحاجة إنسانية معينة مثل اكتشاف دواء جديد أو صناعة متقدمة. . . الخ.

وهو يفيد من البحث الأساسي ويستخدم نتائجه وايضاً هو يثيره وينشطه بل ويكون الداعي إليه في كثير من الأحيان.

- البحث التطويري R & D وقد غدا أحد أهم مقاييس تقدم الدول أو تخلفها ويسعى لنشر نتائج البحث الجديد بين الناس(14).

(2) تطور الدراسة العلمية للمستقبل أو بدايات الاهتمام بالدراسة العلمية للمستقبل

المستقبل بعد من أبعاد الزمان الثلاثة، وإذا كان الفكر الإنساني قد انكب على دراسة بعدي الماضي والحاضر بوجه خاص حتى مطلع العصور الحديثة، فإن الاهتمام بالبعد الثالث ـ المستقبل ـ والنظر إليه والسعي إلى استكشافه لم يغب تماماً عن أذهان قدماء الفلاسفة والمؤرخين، وتدل طقوس ومظاهر العرافة والتكهن والتنجيم التي تميزت بها الحضارات القديمة على اهتمام البشرية منذ أقدم العصور باستطلاع المستقبل مع اختلاف أغراض الاستطلاع بين النظرية، الخلقية، النفعية.

كذلك فإن الإيمان بالعالم الآخر أو الحياة الآخرة وما يتصل بها من مفاهيم مثل الثواب والعقاب والخلود قد ارتبط بامتداد الزمان في المستقبل أو اكتماله به.

أضف إلى ذلك أن توفر الفلاسفة والمؤرخين على دراسة التاريخ العابر وتدبر أحداثه

---

(14) د. عماد الخالدي، مرجع سابق، ص 123.

والتأمل فيها لم ينقصه في الغالب الأعم رؤى معينة للمستقبل[15].

ويمكن القول بقدر كاف من الاطمئنان ان دراسة المستقبل بشكل علمي منظم قد بدأت في أواخر القرن الخامس عشر الذي شهد ظهور كتاب توماس مور Thomas Moore 1535-1478 المعنون «يوتوبيا» والذي ضمنه مخططاً لمجتمع مثالي تتلاشى فيه كل أشكال العنف والقسوة والاضطهاد[16]، ثم جاء الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون Francis Bacon (1626-1561) ليقدم لنا صورة أخرى لمجتمع مثالي أيضاً سماه «الاطلنطيس الجديدة» والتي جاءت أكثر واقعية من سابقتها حيث عنى بيكون بالتذرع بالعلم كوسيلة لإدراك الأشياء وكأداة للسيطرة على الطبيعة وتحسين أحوال البشر، ونجد كذلك من المفكرين الذين اهتموا بالمستقبل ودراسته برناد دي فونتنيل Bernard de Fontenelle (1757-1657) الذي تمتع بشهرة أدبية وفكرية واسعة وانتخب عضواً في المجمع الفرنسي الشهير Academie Française ثم أميناً عاماً لمجمع العلوم بباريس، وقد ساهم في الترويج للعلم الحديث لا سيما في شكله الديكارتي الذي أخذ به دون تحفظ، ثم سباستيان مرسييه Sébastien Mercier الذي ألف عام 1770 كتاباً أسماه سنة 2440، يعد من أوائل الكتب الحديثة التي دارت حول التنبؤ بالمستقبل. وينضم إلى هؤلاء بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (1790-1701)، انطوان دي كندورسه Antoine de Condorcet (1794-1747) والفريد لورد تينيسون Alfred lord Tennyson (1892-1806)[17].

أما الاقتصادي الانجليزي روبرت مالتوس فهو صاحب أول محاولة لاستطلاع مستقبل الجنس البشري على أسس علمية، فقد درس أحوال الفقراء في إنجلترا في الفترة

---

(15) د. ماجد فخري، تطور فكرة المستقبل في العصور القديمة والحديثة، الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، العدد العاشر، السنة الأولى 15 آذار (مارس) 15 نيسان/أبريل 1979 م، ص 10.

(16) كان مؤلف سيرتوماس مور المدينة الفاضلة Utopia بداية ما يعرف بالاشتراكية الطوبائية أو الاشتراكية الخيالية، وقد سار على منوال سير توماس مور «كامبانيلا» (1568-1639) وكانت أفكارهما تدور حول انتقاد النظام الاجتماعي القائم على وجود فئة تعيش عيشة مترفة على حساب الطبقات الفقيرة التي تقوم بالعمل، وحول تصور مجتمع ليس فيه أغنياء أو فقراء لأن الجميع يشتركون في العمل على قدم المساواة ويحصلون على كل ما هو ضروري لمعيشتهم.
انظر في تفصيل ذلك د. أحمد عباس عبد البديع، أصول علم السياسة، القاهرة: مكتبة عين شمس، 1981.

(17) المرجع السابق، ص 17.

التي أعقبت الثورة الصناعية مباشرة وتزايد السكان في الولايات المتحدة الأمريكية واستخلص منها نظرية نمو السكان وضبطه، شرحها في كتابه «مقال في نمو السكان» عام 1798 وهو الكتاب الذي أصبح بعد نشره من أكثر الكتب انتشاراً وتأثيراً في الكتاب والمفكرين والاقتصاديين وغيرهم بما فيهم تشارلز دارون صاحب نظرية التطور[18].

وعلى يد جول فيرن Jules Verne (1828-1903) خطا علم المستقبل خطوة كبرى في القرن التاسع عشر، فقد استطاع هذا الروائي اللامع في عدد من المؤلفات الشهيرة مثل «رحلة من الأرض إلى القمر» (1865) و«حول العالم في ثمانين يوماً» و«عشرون فرسخاً تحت سطح الماء» (1870) أن ينفذ بعين البصيرة إلى المستقبل ويتنبأ بعدد من الاكتشافات الحديثة على وجه مدهش في دقته وأصالته جعلته أعظم رواد علم المستقبل في العصر الحديث.

ويشارك الكاتب البريطاني الشهير هربرت جورج ويلز Herbert George (1866-1946) Wells في هذا السعي إلى استكشاف المستقبل فيقدم كتبه «آلة الزمان» (1895) و«حرب العوالم» (1898) و«التوقعات» (1901) «وتكوين الانسان» (1903) و«اليوتوبيا الجديدة» (1905) و«شكل الأشياء المستقبلية» 1933 [19].

ويجيء وليام ستابلدون (1886-1950) Willian Stapledon كأحد كبار المفكرين والأدباء في العصر الحديث الذين انشغلوا برسم صورة «المستقبل الإنساني» سواء في الأعمال الفكرية أو الإبداعية حتى أصبح أبرز كتاب الخيال العلمي في هذا القرن. ومن رواياته المشهورة جونِ الشاذ (1935) التي جعل بطلاً نموذجاً للسوبرمان (أو الانسان الأسمى) بقدراته العقلية الخارقة، ورواية سيريوس وبطلها كلب يتعلم الكلام والتفكير (1944) وكتب تاريخ الكونِ في شكل روائي في كتابين: أول وآخر البشر (1902) وصانع النجوم (1937)، ويجمع النقاد على أن أحداً لم يبدع في العصر الحديث (أدباً علمياً وفكرياً) بمثل مستوى أعمال ستابلدون والذي كان مفتوناً بأفكار هربرت دبلز عن التاريخ والمستقبل، وإن كان قد

---

(18) توماس روبرت مالثوس (1766-1834) اقتصادي إنجليزي ولد عام 1766 في مقاطعة صغيرة يمكلها والده والتحق بكلية المسيح بكمبردج، في عام 1798 نشر أول طبعة من «مسألة السكان كما تؤثر في التطور المستقبلي للمجتمع»، نشر الطبعة الثانية عام 1803.

راجع في ذلك Encyclopaedia Britanica

London, New York, 1960, vol. 14., p. 744.

(19) المرجع السابق، ص 18.

تفوق على أستاذه فيما بعد في عمق رؤيته لمستقبل الإنسانية وفي قدرته على مزج الرؤى الفلسفية والاجتماعية والعلمية.

وربما يكون الكاتب والباحث الاجتماعي س. كولم جلفن الذي حاول تحديد مدى دقة التنبؤات بالمستقبل هو أول من اخترع اسماً لهذا العلم فأطلق عليه «ملنتولوجي» مشتقاً إياها من كلمة المستقبل باليونانية وترجمتها الحرفية «علم المستقبل»، والاسم الشائع بالفرنسية Prespective هو من ابتداع الرائد الفرنسي للعلم ذاته وهو جاستون برجيه[20]. على أن مصطلح علم المستقبل Futurology قد ابتكره المؤرخ الألماني فلختهايم Ossip. K. Flechteim ليشير إلى علم جديد، وقد دشن كتابه «التاريخ وعلم المستقبل»[21] عملية تطبيق واسعة لهذا العلم تهدف إلى التنبؤ البعيد ليس في حقول السياسة والاجتماع والاقتصاد فحسب وإنما أيضاً في مجال علم البيئة Ecology[22].

وتتردد هنا أسماء مثل «كارل بوبر» الفيلسوف البريطاني صاحب كتاب «عقم المذهب التاريخي» 1957 والفن توفلر صاحب كتاب «صدمة المستقبل» 1970 والذي أظهر مصطلح سوسيولوجيا المستقبل ليشغل المركز في دائرة علم المستقبل[23].

---

(20) د. محمود زايد، علم المستقبل في وقتنا الحاضر، الفكر العربي، مرجع سابق، ص 26.

(21) Ossip. K. Flechtheim, History and Futurology, Germay, 1966.

(22) د. خلدون الشمعة، تعريفات حول المستقبلية/ سوسيولوجيا المستقبل بين المستقبلية وعلم المستقبل، الفكر العربي، مصدر سابق، ص 210.

ويراجع Edward Cornish with members and staff of the world Future society, The study of the Future, washington, 1977.

(23) اعتبر الباحثون أن هذه الدراسة هي الأولى في مجال «سوسيولوجيا المستقبل» وقد صاغ توفلر اصطلاحه الخاص بـ «صدمة المستقبل» مستهدفاً القيام بعملية تشخيص لمرض سيكولوجي مغلق في المجتمعات الغربية بعد الصناعية Post industrial بفضل ارتفاع وتائر حركة التغيير إلى حدود يصعب التحكم في آثارها على الأفراد. ويتكون الكتاب من خمسة أقسام الأول يتناول ما يسميه بظاهرة موت فكرة الثبات Permanence والثاني يعرض لما يدعوه بـالتحول Transience، القسم الثالث يختص بمناقشة فكرة «الحداثة» ويتعرض القسم الرابع لما يسميه المؤلف بـ «التنوع والتعدد» وأخيراً القسم الخامس عن حدود التكيف والتلازم الاجتماعية في البعدين المادي والفسيولوجي.

وقد استمر توفلر على نفس النهج فقدم عام 1980 كتابه «الموجة الثالثة» والذي تناول نفس موضوع الكتاب الأول ولكن من زاوية مختلفة تصف التغيرات الثورية الأخيرة في التكنولوجيا وتضعها في منظورها التاريخي.

كما قدم في عام 1990 كتابه الثالث في ثلاثيته التي يسميها «مفصل التاريخ» والتي تغطي الفترة من 1950 إلى 2025 وكان عنوانه «تغير ميزان القوى» وفيه يتعمق توفلر في الكشف عن جذور العوامل التي تؤد ي إلى التغيرات الثورية الهائلة في دوائر الأعمال والاقتصاد والسياسة والشئون الدولية.

ويتوالى التقدم في مجال الدراسات المستقبلية حتى يصدر «نادي روما» في مارس 1982 تقريره الشهير «حدود النمو» عن فريق من العلماء من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا بالولايات المتحدة، والذي كان له صدى كبير ودوي عال في كثير من أنحاء العالم وبرز اسم مؤسس النادي أوريليوبيتش Aurelio Pec-cei [24].

وتواترت الدراسات المستقبلية والنماذج وتنوعت النتائج والبدائل والخيارات فعن نادي روما صدرت دراسة أخرى أشمل وأكثر تدقيقاً بعنوان «البشرية في مفترق الطرق» تميزت بتقسيمها العالم إلى عدد من المناطق لكل منها مميزات خاصة وظهر الوطن العربي بشكل ما في أحد هذه التجمعات، وأيضاً ظهرت دراسة عن الأمم المتحدة عرفت باسم «نموذج ليونتييف» وغيرها.

الواقع أن تطور الدراسة العلمية للمستقبل يفسر بتقدم طرق المعرفة وتزايد المهام والواجبات الملحة التي يتعين ـ للوفاء بها ـ على بعض الأشخاص اتخاذ قرارات مرتبطة بالمستقبل وغالباً ذات أجل طويل، ويفسر أيضاً بالاهتمام المتزايد الذي يوجه اليوم للمستقبل ليس فقط لدوافع قديمة العهد مثل الفضول والحاجة إلى التغيير وما إليها، وإنما يثيره أيضاً مشاعر القلق والطموح التي ـ بفقدانها نهائياً الطابع الانفعالي والخرافي لمخاوف

---

(24) أوريليوبتش شخصية متميزة من رجال المال والأعمال الايطاليين. أسس النادي الذي هو تجمع تطوعي لعدد من المفكرين في مختلف أنحاء العالم الذين أدركوا في وقت مبكر الأخطار الرهيبة المحدقة بالبشرية فآثروا الاهتمام بالمستقبل في محاولة للتعرف على ما يخبئه للبشرية من مفاجآت. اعتمد تقرير النادي على نموذج رياضي ضخم وهو حلقة متقدمة في سلسلة دراسات المستقبل حيث لا يكتفي باستشراف النتائج المترتبة على استمرار وضع راهن وامتداده إلى المستقبل بل أنه يرسم صورة لمستقبل «بديل» يمكن تحقيقه لو ان تعديلات معينة في التوجهات أمكن إحداثها، وهذا المستقبل ليس حلماً طوباوياً لكنه مشروع أجزاؤه متكاملة ومتناسقة وقابلة للتنفيذ في حدود الموارد المتاحة.

راجع: حدود النمو، ترجمة محمد مصطفى غنيم، تقرير لمشروع «نادي روما». عن المأزق الذي تواجهه البشرية،

أعده
دونيليا هـ. ميدوز
ونيسي ل. ميدوز
يورجين رنيدرز
وليم و. بيرتز

القاهرة، دار المعارف بمصر، 1976.

ولا يزال «نادي روما» رابطة د ولية غير رسمية، وقد زاد عدد أعضائه إلى أكثر من سبعين شخصاً ينتمون إلى خمس وعشرين جنسية مختلفة، وليس لأحد من أعضائه منصب رسمي كما أن الرابطة لا تسعى للإعراب عن أية وجهة نظر إيدلوجية أو سياسية أو قومية بعينها.

وأحلام الماضي - تنبثق من وعي جاد وملموس بالواقع الحاضر من جهة: التسلح النووي - الانفجار السكاني - المخاطر المحدقة بالبيئة - التلاعب البيولوجي والسيكولوجي بالكائن البشري - واستئثار عدد قليل بالسلطة والطابع التكنوقراطي المتزايد لهذه الأخيرة. ومن جهة أخرى التخلص من الأعمال الشاقة بفضل التقنية - التغلب على الأمراض - رفع مستوى المعيشة - الاستغلال الأمثل للطبيعة - تعميم الاتصال بين البشر وبصورة أعم التنمية النوعية للوجود وللطاقات البشرية.

إننا لو راجعنا التاريخ سنجد أن التفكير في المستقبل والتساؤل عن المصير يشتد في بعض الحقب دون سواها، فهو يشتد في أوقات الكوارث أو الأخطار حيث أنه في أوقات الدعة والسلام والاندفاع إلى الأمام يكون الإنسان متفائلاً مطمئناً ولئن تكن فلسفة التاريخ تتجه إلى الماضي فإن باعثها الأصلي هو القلق على الحاضر وعلى المستقبل، ولا غرابة إذن أن تكون أول محاولة من هذا القبيل قد ظهرت في العصور القديمة على يد القديس أوغسطنيوس في كتابه «مدينة الله» في الوقت الذي كانت تتداعى فيه الإمبراطورية الرومانية العظيمة، وأن تأتي أعظم محاولات القرون الوسطى وأكثرها إبداعاً، وهي مقدمة ابن خلدون في الحقبة التي شهدت تفكك الحضارة الإسلامية وأفولها، ولا عجب كذلك أن تغدو الآونة الأخيرة التي عصفت فيها الحروب المدمرة والثورات المتأرجحة والاضطرابات المنتشرة، أرضاً خصبة للتساؤلات المستقبلية وتطوير الدراسات الخاصة بها.

(3) مستويات ومناهج الدراسة العلمية للمستقبل

تعنى الدراسات المستقبلية أساساً بتوصيف البدائل الممكنة من حيث البنى والأنماط والآثار، ومن ثم تعمل على خلق وتطوير أنساق تحليلية جديدة. وهي تسعى إلى محاولة الفهم المسبق لاحتمالات معينة بهدف التأثير فيها أو التعامل معها بشكل أفضل حال وقوعها والحصول على أقصى قدر من الفائدة منها.

إن الدراسة المستقبلية ليست شكلاً من أشكال الهروب من التعامل مع الحاضر أو صورة من صور الترف العقلي بل هي مران ذهني يستهدف تحديد الصور المختلفة التي يمكن أن يتخذها المستقبل من واقع الخيارات التي يتخذها في الحاضر، وهذا المران العقلي أو أعمال العقل والخيال في المستقبل على نحو يهدف إلى التخطيط للغد ويرنو إلى السيطرة على العوامل الحاكمة، يستمد شرعيته النظرية من أهم مكونين للعلم الاجتماعي الحديث وهما استخلاص القواعد أو الاتجاهات العامة التي تحكم مسيرة

المجتمع الانساني وتوظيف تلك القواعد والاتجاهات للتخطيط لمستقبل أفضل[25] .

ومن سمات التفكير المستقبلي وعي المشتغلين به وعياً تاماً بأهمية الزمن فهم يدركون أن لمشكلات اليوم جذوراً تضرب في الماضي وأن هذه المشكلات لا تنشأ بين يوم وليلة وإنما تتكون تدريجياً، ومن ثم فإن الحديث عن المستقبل والعمل على استكشاف احتمالاته يستلزم أولاً تأمل الماضي وتدبره والاعتبار به ثم قراءة الحاضر وفهم واقعه وظروفه ومتغيراته.

ويحصر علماء استقراء المستقبل نظرتهم إليه في فترات تمتد من خمس سنين إلى خمسين سنة ولا يتجاوزون ذلك في الغالب لاعتقادهم بأن التغيرات التي ستحدث في تلك الأثناء ستكون كبيرة إلى حد لا تجدي معه القرارات التي تتخذ الآن. وقد أخذ علماء المستقبل يطلقون أسماء على فترات المستقبل التي يخططون لها أو يستطلعون شئونها ويستكشفون أبعادها، وقد أطلق إيرل جوزف محرر مجلة «اتجاهات المستقبل» التي يصدرها مستطلعو المستقبل في مينسوتا بالولايات المتحدة الأسماء التالية على فترات زمنية خمس وهي: المستقبل المباشر ويمتد سنة من الآن، المستقبل القريب ويمتد من سنة إلى خمس سنوات، المستقبل المتوسط ويمتد من خمس سنوات من الآن إلى عشرين سنة، المستقبل البعيد ويمتد من عشرين سنة من الآن إلى خمسين سنة، المستقبل البعيد (غير المنظور) ويمتد من الآن إلى خمسين سنة فأكثر[26] .

ويمكن التمييز في علم المستقبل بين ثلاث مستويات لاستشرافه:

المستوى الأول: وهو خاص بفعالية التخمين (Conjecture) أي التأمل المنظم تنظيماً عقلياً يجعل الباحث يتجه اتجاهاً معيناً في بحثه.

المستوى الثاني: وهو يتعلق بفعالية التنبؤ (Forecast) والذي يأخذ بعين الاعتبار الاحتمالات الخاصة بتواتر وقوع حادثة معينة لتحقيق درجة معينة من استشراف المستقبل.

المستوى الثالث: وهو أقوى المستويات الثلاثة ويتصل بفعالية النبوءة Prédiction ويتوق هذا المستوى إلى تشخيص حادثة معينة والتوصل إلى نتائج محددة بصددها قبل أن تستنفذ الحادثة سياقها[27] .

---

(25) د. علي الدين هلال (منسق ومحرر)، العرب والعالم، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط أولى، تشرين الأول/أكتوبر 1988، ص ص 13-14.

(26) د. محمود زايد، مرجع سابق، ص 28.

(27) ده خلدون الشمعة، مرجع سابق، ص 211.

ويتفق معظم الباحثين على أن عالم المستقبل لا يستطيع أن يضع قواعد خاصة بالنبوءة وهذا ما يدفع بالكثير من العاملين في مجال «علم المستقبل» إلى التشكيك كثيراً في مسؤولية اعتبار هذا العلم علماً بقدر ما يرفضون كونه علماً جديداً كذلك فإن التخمين قد لا يساعد كثيراً في استشراف المستقبل بقدر كاف من الدقة أو الصواب، ومن ثم يصبح التنبؤ Forecast يمثل جوهر الدراسات المستقبلية.

والتنبؤ في جوهره هو مشكلة التسبيب وتقليل عدم اليقين وهو أيضاً مشكلة المقارنة أو التخمين المحدد والمنظم، إنه اكتشاف غير المعروف والتحديد والتعريف بالاحتمالات المرتبطة بنتائج مختلفة.

في العلوم الاجتماعية تعرف مشكلة التنبؤ بأنها مشكلة تقليص عدم اليقين وتقليل الاختلافات حول التقديرات الخيارية لغير المعلوم[28].

إن المستقبل يتاح للإنسان على ثلاثة أشكال شديدة الترابط ومع ذلك ينبغي التمييز بينها: مستقبل محتوم ينبثق من الحتميات التي ينبغي التسليم التام بها والخضوع لها، مستقبل صدفوي (بالصدفة) تلعب فيه عناصر الحظ والتوفيق دورها، مستقبل حر أو اختياري قابل للتأثير فيه وتعديله بل يمكن أن يخضع للصياغة والتشكيل.

بطبيعة الحال يهمنا هنا الشكل الأخير للمستقبل أي المستقبل الاختياري والذي يتسع باستمرار بفضل ما تملكه البشرية اليوم من وسائل خاصة ثورة المعلوماتية وتقدم طرائق التنبؤ والتخطيط وبصورة أشمل تقدم طرائق الإدارة العقلانية للعمل وفي هذا الشأن يبدو واضحاً أنه باستطاعة الإنسان أن يفعل الكثير في صنع المستقبل.

وهنا تثور المعضلة الأساسية أو السؤال الجوهري حول اختيار الأهداف: من سيكلف بتحديدها؟ كيف ستصاغ؟ وما هي الوسيلة التي سيفصل بها في أمر المذاهب والأيديولوجيات المتنافسة التي يدعي كل منها كفايته في توجيه المستقبل؟ كيف التأكد من أن المستقبل المنشود هو مستقبل ممكن؟.

وإذا افترضنا حصول الاتفاق حول الأهداف يبقى إعداد الخطة التي تسمح ببلوغها على إجماع الانطلاقة الأولى والتصرف بحيث لا تتناقض حاجات الأجل القصير مع متطلبات الأجل الطويل، وهكذا فإن المستقبلية مشروع صعب ومعقد ومتشابك.

---

(28) Nazli choucri and thomas W. robinson (eds), Forecasting in Interational Relations: theory-Methods-Problems and Prospects, San Francisco, W. H. Freeman and company, 1978, pp. 3-4.

ويراجع د. قسطنين رزق، مرجع سبق ذكره، ص ص 65-82.

ومع الاعتراف بأن (علم المستقبل) لا يقدم ـ غالباً ـ سمات علمية واضحة تميزه عن الأساليب التقليدية في معالجة المستقبل، إلا أنه يقدم في الواقع الخصائص العامة للمعرفة العلمية بهدف الاهتمام بالمستقبل بطريقة منظمة ومنهجية وبما أمكن من الدقة، ومع عدم إنكار تخصيص مكان كبير للأحكام العامة وللأحاسيس والمشاعر السابقة، فإن المستقبلية تعتمد أكثر فأكثر أساليب عمل واضحة تؤكد طابعها العلمي فهي تقوم بأحصاءات كاملة، قدر الإمكان، للوقائع والعوامل والمتغيرات، وتحلل بصورة دقيقة المواقف، وتجتهد في توضيح النيات ودوافع السلوك الفردي والجماعي وتهتم بإيضاح الترابط والاستقلال بين المتغيرات والظواهر، إنها تسعى إلى الوصول إلى الظواهر الأكثر جوهرية أي إلى «المتغيرات الرئيسية» وتعد «مشاريع» و«نماذج» للمستقبل.

وإذا أمكن إيجاز مقومات العلم الصحيح في ثلاثة: مضمون محدد، منهج واضح المعالم، أحكام كلية قادرة على تعليل جزئيات ذلك العلم تعليلاً شافياً، فما مدى توافر هذه المقومات في علم المستقبل ـ وما زلنا نناقش توصيفه كعلم بالمعنى الأصيل ـ أي من حيث المضمون والمنهج والأحكام؟.

مضمون علم استقراء المستقبل هو الكائن الممكن، أي الكائن الذي لم يوجد بعد ولكنه قابل للوجود في الزمان المستقبل بحكم قاعدة سيلان الزمان واندفاعه أي امتناع انعكاسه أو انكفائه على ذاته واستحالة حصول الممكن في الماضي أو الحاضر.

أما المنهج الذي يجب أن يعتمده عالم أو مستقرىء المستقبل فهو منهج العلماء في سائر العلوم والذي يتضمن التجربة أو الاختبار أولاً، الاستدلال المنطقي ثانياً، الاستقراء والتعميم ثالثاً[29]. بالنسبة للخبرة هناك الخبرات الطويلة الماضية وأيضاً الخبرة المعاصرة وفيما يتعلق بالاستدلال والاستقراء فالأمر يقتضي تحليل المعطيات المتوافرة وتبويبها والربط بين عناصرها المختلفة اعمالاً لقواعد المنطق ومبادىء الاستقراء.

ثم يجيء التعميم للخروج بأحكام عامة متماسكة منطقياً قابلة للتطبيق على المجتمعات البشرية وذلك في إطار قناعة بأنه لا يوجد ما يمنع من أن ما وجد في الماضي وما يقوم في الحاضر قابل للوقوع في المستقبل دون أن يعني ذلك بطبيعة الحال أن المستقبل لا بد وأن يشبه الماضي والحاضر شبهاً تاماً.

وانطلاقاً من اعتبار أن التنبؤ Forecast هو جوهر استقراء المستقبل، وبالنظر إلى

(29) د. ماجد فخري، مرجع سابق، ص 20.

المستقبل الاختياري، وما سبق تقديمه من منهج الدراسة المستقبلية وأهم أسسها والمسائل التي تثيرها، نعرض فيما يلي لأهم الطرق الخاصة بالتنبؤ في العلوم الاجتماعية:

(أ) طريقة دلفي Delphi Method

وهي منهج منظم ومصمم بطريقة علمية واعية لاستطلاع رأي مجموعات من الخبراء حول موضوع الدراسة. ومن ثم فإن هذه الطريقة تستخدم في المجالات التي تعتمد بالدرجة الأولى على آراء الخبراء وخصوصاً في المجالات الجديدة حيث لا تتوافر البيانات التاريخية وقد استخدمت هذه الطريقة أساساً للتنبؤ بالتقدم العلمي والتكنولوجي.

ومن مزايا هذه الطريقة:

- وصول سريع للآراء المتوسطة لجمهور العلماء.
- مرونة عالية لاستبعاد الآراء الشاذة.
- تكلفة قليلة في عملية استطلاع الآراء.
- قابلية هذه الطريقة للتطبيق في حالات عديدة.
- القابلية للمقارنة بأساليب أخرى.
- الصلاحية للتنبؤ للأجيال الزمنية المختلفة، وإن كانت القيمة تزداد إذا كنا بصدد تنبؤ للأجل الطويل.

أما ما يؤخذ على طريقة دلفي فهو انها تعطينا خليطاً من الاتجاهات العامة للتطور[30].

وخلاصة هذه الطريقة أنها استجواب خبراء معينين بطريقة منفردة بواسطة استفتاءات شخصية تسعى إلى استخراج آراء متقاربة بمقارنة الأجوبة.

(ب) طريقة السيناريو Scenario Writing

يرجع الفضل في هذه الطريقة إلى kahn في مؤلفه عام 2000

kahn and Wiener, The year 2000.

والسيناريو (المشهد) هو مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تنطلق من مفهوم «ماذا . . لو» أي ماذا يمكن أن يحدث لو تحققت عدة شروط. إذن المشهد هو تصور ذهني

(30) د. سامية مصطفى الخشاب، مناهج علم الاجتماع ودراسة المستقبل. رؤية نقدية، المجلة الاجتماعية القومية، الأعداد 1، 2، 3، يناير ـ مايو ـ سبتمبر 1983، المجلد (20)، ص ص 24-25.

وفكري لمجموعة من الحالات المتوقعة أو الممكنة لمسيرة ظاهرة ما، وهو ليس تعبيراً عن أهواء مؤلفه وإنما وصفاً لمسار محتمل بغض النظر عن المرغوب فيه[31].

وطريقة السيناريو هذه تعتبر مساراً وسطاً بين مسارين اثنين لدراسة المستقبل يتعلق أولها بالانطلاق من الماضي والحاضر إلى المستقبل حيث يكون الأخير امتداداً لعلاقات موجودة بالفعل وتتطور بمعدلات معينة بحيث يمكن تصور الحالة التي سوف تكون عليها عند نقطة زمنية محددة في المستقبل. والمسار الثاني قيمي يقوم على تشكيل صورة مثالية للمستقبل بحيث يفرض على الحاضر ضرورة اتخاذ اتجاهات معينة حتى يمكن تحقيق تلك الصورة.

السيناريو هنا هو طريقة وسط بين الأسلوبين لكنها في محاولة للجمع بينهما اما تتعدد السيناريوهات إلى أعداد كبيرة فيصبح كل شيء ممكناً في المستقبل وهو ما يحرمه من مصداقيته العلمية أو أن يقف عند عدد محدد فيصير جزءاً من أهداف الباحث وتصوراته الذاتية.

وفي طريقة السيناريو يلتقي الخيال بالعقل، وهي الآن تعتبر طريقة شائعة في العلوم الاجتماعية وتستخدم بترحيب في مجال العلوم السياسية خاصة العلاقات الدولية[32].

(ج) طريقة النموذج **Model**

هذه الطريقة هي أسلوب كمي عبارة عن صياغة رياضية يمكن بواسطتها تمثيل شكل عمليات النمو عبر الزمن لمتغيرات اقتصادية واجتماعية.

ويعتبر النموذج اتجاهاً عاماً في شكل دالة أساسية بسيطة وله مزاياه وعليه مثالبه.

والميزة الأساسية لهذه الطريقة أو ذلك الأسلوب هي أن الدالة الأساسية تتميز بمنطقها التحليلي المقبول في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حيث تكون الزيادة المطلقة في الظاهرة المتغيرة دالة في قيمة المتغير قبل حدوث هذه الزيادة (الدالة الأساسية تفرض ثبات الزيادة النسبية). أما العيب الأساسي لهذه الطريقة خاصة في المجال الاقتصادي فهو أن هذه الدالة لا تستطيع أن تعكس لنا عمليات نمو بها مستويات تشبع أو نقط انقلاب وهي ملامح تظهر في العديد من التحليلات الاقتصادية[33].

(31) د. علي الدين هلال، مرجع سابق، ص 29.

(32) راجع في هذا الشأن Nazli Choucriand thomas W. Robinson (eds), Op. Cit. PP. 37-92. 95-266. عن النظرية وعن التطبيقات.

(33) د. سامية مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص 26.

هذه النماذج قد تكون احصائية أو وظيفية تؤسس على الأدوات البارامترية أكثر من التقديرات، كما تؤسس على معلومات امبريقية أو تحليل القرار أو التحليل البيزي، وكل نمط من النموذج يقرّب القائم بالتنبؤ من جوانب مختلفة من الحقيقة(34).

(د) طريقة الاستكمال الخارجي Extrapolation Method

هذه هي أبسط طرق التنبؤ لتقدير ظاهرة معينة في المستقبل وهي عملية استكمال للاتجاهات المستقبلية للمتغير وقيمته معتمداً على الاتجاهات والقيم الماضية له.

ولاستخدام هذه الطريقة يجب توافر شرطين:

الشرط الأول: عدم وجود قفزات مفاجئة من فئة إلى أخرى للعوامل المؤثرة على الظاهرة محل الدراسة.

الشرط الثاني: وجود انتظام في التقلبات وتماثل في النمو والانكماش(35).

وإلى جانب ما سبق ذكره من طرق التنبؤ هناك طرق أخرى مثل طريقة التنبؤ بالتشابه Foracasting by Analogy والطرق المعيارية (القيمية) Normative والأدوات البارامترية(36)، وبطبيعة الحال لكل طريقة أو أسلوب نقاط قوة ومظاهر ضعف.

ويصبح من المهم أن يسعى الباحث في محاولة التنبؤ بظاهرة معينة أن يعتمد على أكثر من طريقة ثم يقارن بين النتائج التي توصل إليها، تحقيقاً لقدر أكبر من الدقة(37).

(4) العرب والدراسات المستقبلية

غني عن البيان أن العلوم الاجتماعية التقليدية (أنثروبولجيا ـ اجتماع ـ نفس سياسة ـ اقتصاد وغيرها) تعاني في العالم العربي من عدة معوقات تؤثر على دورها في تنمية المجتمع والسياسة والفكر العربي، وأن مظاهر هذه المعوقات عديدة لعل أبرزها: أزمة

---

(34) Nazli Choucri and thomas W. Robinson (ed) Op. Cit., P. 8.

(35) د. سامية مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ص 27-28.

(36) Nazli Choucri and thomas W. Robinson, (eds), Op. Cit., P. 8.

(37) انظر على سبيل المثال إحدى هذه الطرق في

P. Joseph, technological Forecasting For decision Making, N. york, 1972.

المعلومات والبحث ـ هبوط المناخ العلمي ـ عزلة البحث عن السياسة عبء الالتزامات الاجتماعية والأسرية وما إلى ذلك(38).

وتخلف البحث الاجتماعي العربي يرتبط بالعديد من العوامل الهامة التي تتفاعل مع التقسيم العالمي، فنقص الموارد المخصصة للبحث، غياب دور المراكز والمؤسسات التي ترعى البحث الاجتماعي، ضعف المكتبات، وغير ذلك من الأسباب، هو في حد ذاته عوامل محبطة للبحث، غير أن هناك عاملاً حاكماً في كل هذا وهو أساساً البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تجعل المجتمع والدولة متساويين في تقديرهما الضعيف لمهمة البحث العلمي وآفاقه وطموحاته. فإذا كان هذا هو حال البحث في مجال العلوم الاجتماعية التقليدية بصفة عامة فإن المشكلة تكون أكبر ونحن إزاء علم جديد يسير حثيثاً نحو اكتمال معالمه واتضاح أسسه وهو (علم استقراء المستقبل).

وما دمنا اتفقنا على أن الاهتمام بالمستقبل ليس أمراً من قبيل الترف أو الهروب من الواقع، وتأكدنا من أن القرارات التي نتخذها اليوم سوف تحدد شكل المجتمع والحياة التي سوف تعيشها الأجيال القادمة، فإن النتيجة المنطقية تكون ضرورة التخطيط والتعامل ليس فقط بالنسبة لما هو آتي عاجل بل ايضاً الاخذ في الحسبان تحديات المستقبل وأزماته وكما يقال فإنه إن لم يخطط العرب لمستقبلهم فسوف يخططه الآخرون.

وفضلاً عن ذلك فإن الدراسات المستقبلية يدعو لها اكثر من سبب في الوطن العربي فهناك إسرائيل والاختلال الإستراتيجي الواضح لصالحها في المنطقة، ومستقبل هذا

---

(38) انظر في هذا الشأن، شفيق الغبرا، معوقات البحث في العلوم الاجتماعية العربية، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد 17. العدد الثالث، خريف 1989، ص ص 217-226.
وراجع أيضاً:
ووتربري، ج، بحوث العلوم الاجتماعية والدراسات العربية في العقد القادم ص ص 383-395 في هشام شرابي (محرر)، العقد العربي القادم المستقبلات البديلة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
وكذلك صلاح قنصوه، معوقات البحث العلمي في المجتمع العربي، مجلة الفكر العربي، طرابلس (ليبيا)، العدد 20، ص ص 277-232.
وأيضاً أحرشاو الغالي، معوقات التأسيس العلمي للعلوم الإنسانية في الوطن العربي، مجلة شئون عربية، العدد 67، أيلول/سبتمبر 1991 ص ص 126-141 وراجع بصفة خاصة الفصل الثالث من الباب الأول من كتاب د. فؤاد زكريا الصورة الإسلامية في ميزان العقل الصادر عن دار التنوير عام 1985 والعنوان «العقل العربي والتوجه المستقبلي» حيث يناقش بالتفصيل أسباب افتقاد عالمنا العربي للدراسات العلمية الخاصة بالمستقبل وعددها ما بين دينية وحضارية واجتماعية وسياسية فضلاً عن أسباب أخرى تتعلق بالبيئة، ص ص 69-81.

الاختلال وآثاره على كل الدول العربية، وهناك انخفاض اسعار النفط وتداعيات ذلك، وهناك العجز المستمر للحكومات عن الوفاء بمتطلبات شعوبها بدرجة مرضية وهناك ازمة الديون وما إلى ذلك من المسائل التي تستدعي الاهتمام بالدراسات المستقبلية وتؤكد ضرورتها وحيويتها.

ولقد ازدادت بشكل ملحوظ الدراسات المستقبلية في إسرائيل، ورغم ما بها من اختلافات في المنهج أو المستوى، فإن هدفها جميعاً ينتهي إلى تحديد إجابة عن السؤال الأساسي: كيف يمكن أن تكون إسرائيل اقوى واكبر واقدر على فرض إرادتها في المنطقة؟ ومعظم هذه الدراسات ليس سراً بل منشور بأكثر من لغة، ولو توافرت متابعة جادة لهذه الدراسات منذ سنوات لما كانت الدهشة والمفاجأة هي رد الفعل العربي ازاء ما يحدث[39].

فأين نحن العرب من الدراسات المستقبلية؟.

لقد نشرت أول محاولة لاستشراف مستقبل المنطقة في أواخر الستينات عن إسرائيل وكانت على هيئة كتيب صغير الحجم يضم مجموعة من المخططات واللوحات الملونة تتناول عدداً من المؤشرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية. وتلت ذلك بسنوات معدودات محاولة رائدة من لبنان قام بها انطوان زحلان لعرض أول رؤية عربية لمستقبل المنطقة.

وقد صدرت هاتان المحاولتان في وقت مبكر نسبياً لم تكن قد تطورت فيه منهجيات البحث وربما لم تتوافر لهما أيضاً المقومات الأساسية اللازمة من قواعد المعلومات الوافية والدقيقة ولا من أدوات البحث والاستقراء. وظل الاهتمام بالدراسات المستقبلية محصوراً في عدد قليل من الدارسين المهتمين بها والمقتنعين بأهميتها حتى اواسط السبعينات، وقد شهدت مصر أول محاولة جادة على نطاق واسع لتركيب نموذج رياضي وتشغيله على حاسب الكتروني فيما سمي آنذاك بمشروع القاهرة 2000 وذلك بالاستعانة بالتقنيات التي

---

(39) على سبيل المثال مطروح الآن ـ بعدة لغات ـ دراسات هامة لمجموعة من الخبراء الإسرائيليين أعدت عام 1985 عن إسرائيل عام 2000 أعدت للجيش الاسرائيلي وهي تقدم ـ منذ خمس سنوات ـ صورة متكاملة لما يدور في العقل الاسرائيلي من مخططات في السياسة والاقتصاد والسكان والأراضي المحتلة تساعد كثيراً في فهم ما يحدث وكيف أعد له وخطط لتنفيذه منذ سنوات وأيضاً ما سيجري عليه العمل في المستقبل القريب والمنظور.

راجع عرضاً لبعض هذه الدراسات في مقال رجب البنا، إسرائيل عام 2000، الأهرام 14 يوليو 1990.

استخدمت في نموذج «البشرية في مفترق الطرق»[40]. كما صدرت عن مؤتمر اليونسكو عن تطبيق العلم والتكنولوجيا الذي عقد في الرباط (المغرب) عام 1976، توصية بإجراء دراسة عن مستقبل العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي حتى عام2000، وانشغلت عدة منظمات عربية متخصصة في إطار الجامعة العربية بإعداد «استراتيجيات» للتنمية في مجالات تخصصها (الزراعة ـ الصناعة ـ التربية. . .) فيها تصورات للمستقبل وإن لم تعتمد بقدر كبير المنهجيات المتطورة.

وفي عام 1980 كلف المكتب الإقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة للتنمية «المعهد العربي للتخطيط في الكويت» بإجراء مجموعة من الدراسات للتعرف على المستقبل العربي عام 2000 وجرت مناقشتها في اجتماع «طنجة» في عام 1981. ثم شهدت السنوات الأخيرة البدايات الاولى لجهد عربي متواصل لمعالجة الدراسات المستقبلية في الوطن العربي على أسس أكثر تأصيلاً وجدية ومنهجية عما سبق، وتمثل ذلك اساساً في نطاق الدراسات العربية الشاملة ـ في مشروعين:

المشروع الأول : «المستقبلات العربية البديلة» والذي مولته أساساً جامعة الأمم المتحدة وقد صدر عن المشروع في بدايته كتاب بعنوان «صور المستقبل العربي» نشره مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع جامعة الأمم المتحدة 1984 ثم صدر ملف يعرض موجزاً للدراسات التي أُجريت ثم صدر التقرير النهائي عام 1986.

أما المشروع الثاني: فقد قام به مركز دراسات الوحدة العربية وهو دراسة كبيرة لاستشراف مستقبل الوطن العربي، ومن مطالعة وثيقة الإطار العام للمشروع ومراجعة الكتب التي صدرت في إطاره يمكن القول بان مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي يهدف إلى دراسة الواقع العربي بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية بحيث يخدم إمكانية التوصل إلى «الوضع المرغوب» في اوائل القرن الحادي والعشرين وأنه مع الاهتمام بدراسة الواقع يأتي استخدام افضل المنهجيات العلمية المتاحة في محاولة لحصر ودراسة المسارات البديلة لمستقبل الوطن العربي[41].

---

(40) جرت هذه الدراسة أو المحاولة بمبادرة من د. إبراهيم حلمي عبد الرحمن مؤسس معهد التخطيط القومي بمصر ثم منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية وأول رئيس لها.

(41) راجع في شأن ضرورات وأهداف وأبعاد هذا المشروع، د. خير الدين حسيب وآخرين، مستقبل الأمة =

وقد انطوى مشروع الاستشراف على اربعة محاور مترابطة أولها هو العرب والعالم ويتناول واقع ومستقبل النظامين الإقليمي والدولي الذي يعيش ويتحرك الوطن العربي في إطارهما ويتفاعل معهما ويؤثر بهما سلباً وإيجاباً.

والمحور الثاني هو التنمية الاقتصادية العربية ويتناول واقع ومستقبل القاعدة المادية والبشرية للوطن العربي وما شهدته مظاهر النمو الاقتصادي في العقود الثلاثة الماضية واحتمالات تطور هذا النمو في العقود الثلاثة التالية. والمحور الثالث هو المجتمع والدولة ويدرس العلاقة الجدلية المستمرة والمعقدة بين تطور التكوينات والهياكل الاجتماعية العربية من ناحية ونشأة ونمو الدولة القطرية العربية من ناحية أخرى.

المحور الرابع هو النموذج النسقي العام لمجمل التفاعلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الوطنية والقومية والإقليمية والدولية في الماضي والحاضر وأهم احتمالاتها المستقبلية والتفاعل الذي يجسده النموذج النسقي ينطوي بدوره على نماذج فرعية استخدم الباحثون فيها الأساليب الكمية والكيفية.

وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية عدد من المجلدات حول دراسات كل من هذه المحاور الأربعة[42] والواقع أن هذا المشروع يمثل أول جهد علمي عربي جماعي كبير تشارك فيه نخبه من العلماء والأساتذة والخبراء العرب في شتى مجالات المعرفة للتعرف على إمكانات الوطن وقدرات الأمة حاضراً ومستقبلاً في إطار المتغيرات التي

= العربية: التحديات والخيارات، التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الأول/أكتوبر/ 1988، ص ص 37-196.

وقد تبنى المشروع أحد الأساليب التي تعالج شئون المستقبل وهو أسلوب التحليل المستقبلي (الاستشراف) حيث هناك أساليب أخرى مثل اصدار النبوءات، إجراء التنبؤات، التخطيط للمستقبل، المستقبليات.

(42) على سبيل المثال:

عن محور (الدولة والمجتمع) صدر تباعاً الدراسات التالية:

- المجتمع والدولة في المشرق العربي.
- المجتمع والدولة في المغرب العربي.
- المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية.
- تراث الدولة المركزية في مصر.
- الدولة والمجتمع في السودان.
- وعن محور (العرب والعالم) صدر ما يلي:
- العرب ومستقبل النظام العالمي.

تحكم النظامين الإقليمي والعربي، وهو عمل غير مسبوق من حيث الشمول والأساليب والمنهجية وعدد المشاركين ومدته الزمنية وكذلك من حيث الهيئات والمؤسسات العربية التي أسهمت فيه وساندته.

ومع ذلك فالحاجة لا تزال ماسة إلى مزيد من الدراسات المستقبلية في كل فروع ومناحي الحياة، والحاجة أكثر مساساً إلى إنشاء مراكز خاصة ببحوث المستقبل، وتوجيه اهتمام كبير إلى ما يمكن أن يسمى «دينامية النظم» بمعنى فرع العلوم الذي يدرب الإنسان على النظر إلى أبعد مع أعماله بصورة دقيقة واكتشاف النظام الذي يجعل مجموعة من الأجزاء تتفاعل مع بعضها وتتأثر كل وحدة بالأخرى وتؤثر فيها.

ويبدو واضحاً أن أول هذه النظم هي تلك الخاصة بالموارد سواء النفط أو المنتجات الزراعية وبصفة خاصة الموارد المائية وما تثيره في الآونة الأخيرة من مشكلات خاصة من جانب إسرائيل وتركيا وأثيوبيا، وضرورة الاهتمام بما ينبه إليه فريق كبير من الخبراء من ان الصراعات الدولية القادمة ستكون حول الموارد المائية (في الوطن العربي أساساً: نهر النيل ـ نهر الاردن ـ الليطاني ـ دجلة والفرات ـ فضلاً عن المياه الجوفية).

(5)مؤسسات الدراسات المستقبلية في العالم

شهدت البلدان المتقدمة منذ القرن العشرين إقبالاً هائلاً على الاشتغال باستطلاع المستقبل على أسس علمية، وتجلى هذا الإقبال في تزايد عدد العلماء المشتغلين به من ناحية، وفي تأسيس الجمعيات والمعاهد والمؤسسات التي ترعى أعمالهم وتنسق بينها وتمولها من ناحية أخرى. وقد سبق الحديث عن التطور في علم المستقبل على يد العلماء ولذا يقتصر هنا على المؤسسات المعنية المشتغلة بالدراسات المستقبلية وفي غضون السنوات الأخيرة تكاثرت المؤسسات التي حددت لنفسها، كهدف مباشر، المستقبلية في مظاهرها الأوسع والأعم، ومن لائحة طويلة جداً نكتفي بذكر أهم المؤسسات: ـ

في الولايات المتحدة: «لجنة العام 2000» بإدارة د. بيل D. Bell و «مركز الأبحاث حول المستقبل» التابع لشركة راند Rand Corporation و «معهد هدسون» Hudson Institute والذي يديره هرمان كاهن Herman Kahn وفي المانيا «مؤسسة مشكلات المستقبل» التي يديرها يونج R. Jungk وفي بريطانيا «Mankind 2000» وهو فريق دولي أنشىء عام 1967.

= ـ العرب ودول الجوار الجغرافي.
ـ القوى الخمس الكبرى والوطن العربي: دراسة مستقبلية.
ـ مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي.

وفي فرنسا «الجمعية الدولية» «Futuristes» التي يعتبر برتراند دي جوفنيل أهم محركيها. وإلى جانب هذه المؤسسات ذات النزعة العالمية، نجد فرقاً متزايدة تكرس نفسها فقط لعلم المستقبل سواء في منظمات دولية (في الأمم المتحدة وداخل مؤسساتها المتخصصة وفي منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية) سواء في وسط إدارات كبرى (خصوصاً أجهـزة التخطيط وتلك التي تهتم باستغلال الأراضي وبالمسائل العسكرية) أو سواء في المشاريع الكبرى.

ويمكن القول بأن علم استقراء المستقبل قد وجد في الولايات المتحدة اهتماماً كبيراً بالمقارنة بغيرها من الدول خاصة فيما يتعلق بإنشاء المعاهد والمراكز أكثر من الاهتمام بالمستقبل كفكرة فلسفية ـ كما هو الحال في فرنسا مثلاً ـ وبالذات ما يرتبط بـالأهداف العسكرية وخاصة الرغبة في تطوير الاستراتيجية، ففي عام 1947 أسس مركز «الاستطلاع التكنولوجي البعيد المدى للجيش»[43] ثم جاءت خطوة أبعد حين كلف الجيش الأمريكي شركة دوجلاس للطيران بإنشاء مشروع «راند» للبحث والتطوير.

في عام 1948 استقل مشروع «راند» عن شركة دوجلاس وأصبح شركة قائمة بذاتها تمولها مؤسسة فورد تسعى إلى «تشجيع الأغراض العلمية والتعليمية والإنسانية التي تخدم مصالح الولايات المتحدة وامنها».

في عام 1966 أنشىء «معهد المستقبل» بولاية كونكتكت لدراسة المشكلات المدنية والذي اعلن أهدافه فيما يلي:

1 ـ الاستكشاف المنهجي للإمكانات المستقبلية للأمة الأمريكية وللمجتمع الدولي.

2 ـ تعيين المرغوب فيه من تلك الإمكانات وتعليل ذلك.

3 ـ البحث عن الوسائل التي يمكن تقوية احتمال تحقيقها بالعمل المناسب الهادف[44].

ومن المؤسسات الأخرى التي أنشئت في الولايات المتحدة لاستطلاع المستقبـل معهد هدسون Hudson الذي أسسه هرمان كاهن والذي اعتمد فيـه اسلوبين فنيين هما «السيناريو» و «المستقبل البديل» لدراسة مختلف أنواع السياسات العامة[45].

كمـا شهدت الـولايات المتحـدة قيام مئـات من المعاهـد والمؤسسات واللجـان

(43) Army long-Range rechonoligcal Forecast

(44) Edward cornish and others, op. cit., P. 86.

(45) Herman kahn and Anthony wiener, the year 2000-A Framework for Speculation on the next thirty-three, new york, 1967, P.6.

والمشاريع التي تشتغل بعلوم المستقبل يبلغ عـددها اكثـر من 600 مؤسسه من أشهـرها مشروع «مانهاتان» الذي أدخل العالم في عصرة الذرة.

ومن أكبر الجمعيات المشتغلة بالمستقبل في الولايات المتحدة «جمعية مستقبل العالم» وهي مؤسسة علمية تربوية غير تجارية وغير ملتزمة بأي اتجاه سياسي أو عقائدي والتي أسست عام 1966 لتكون مركزا يجمع وينسق ويوزع المعلومات الخاصة باستقراء المستقبل بالمستقبل ولتمثل منتدى يتبادل فيه المفكرون الآراء حول مختلف القضايا التي تتصـل بمستقبل المجتمع، وتصـدر الجمعية مجلة ـ كـل شهرين ـ اسمهـا«المستقبلي: مجلة استطلاعات المستقبل واتجاهاته وأفكاره» تستهدف جمهور القراء، كما تصدر نشرة لنخبة من المعنيين بدراسات المستقبل، اسمها «نشرة الجمعية العالمية لدراسة المستقبل»[46].

ويتزايد الاهتمام يوماً بعد يوم بالمؤسسات والجمعيات والمعاهد التي تشتغل بعلم استقراء المستقبل سواء في الولايات المتحدة أو أوربا أو غيرهـا من بلدان العالم حتى أصبح من النادر ان تجد هيئة كبيرة، شركة كانت أو مجلساً أو مؤسسة، ليس لها جهازها الاستطلاعي.

(6) شروط ومتطلبات واجبة في الدراسات المستقبلية.

الآن وبعد أن بدأت الدراسات المستقبليـة ترسـخ أقدامهـا ويزول عنهـا الضباب والدهشة والإثارة المرتبطة بالصرعات الجديدة، يـراجع المشتغلون بهـا مراجعـة شاملة أساليبها أو اهتماماتها ومحتوياتها، وفي هذا الصدد يرون ضرورة توافر عدة شروط وتحقيق بعض المتطلبات لعل أهمها:

(1) الدعوة إلى مزيد من الالتزام بالمنهجيـات العلمية الـدقيقة، والإصـرار على تطبيق الأساليب الكمية والحسابية في الدراسات حتى لا يتحول البحث في المستقبل إلى ضرب من التخمينات الشخصية والخيالات التي لا ترتبط بوضوح بدافع محدد ولا سبيل للحكم على صحتها أو بطلانها.

وذلك مع الأخذ في الاعتبار أن هناك حاجة تظل قائمة للإبقاء على نوع من التصورات الحرة لبدائل المستقبل إطلاقاً لملكات الإبداع البشري الـذي لا توفـره

---

(46) يقع المركز الرئيسي لجمعية مستقبل العالم في بثيسدا بولاية ماريلانه ومجلة «ذي فيوتشوريست» التي تصدرها تتضمن مقالات حول مواضيع تتـراوح بين البيئة حتى الإدارة ومن الفضـاء الخارجي حتى الفضاء المصغر. ومن كتاب المجلة بعض من أبرز مستقرئي المستقبل الإمريكيين مثل كارل ساجان وجون نايزبيت. ويرأس الجمعية إدوارد كورنيش.

الطرق الحسابية وفي موضوعات إنسانية لا يمكن القياس فيها باعتماد المؤشرات العادية.

في هذا السياق تثار جدلية الخالق والمخلوق، فالعقل بطبيعته يفكر، ولا بد له أن يفعل ذلك، والسؤال كيف أن يكون له، وهو محدود في نوع قدراته وملكاته وفي مداها ومحدود أيضاً بعالمه، ان يتدخل في علم يأتي من عند الله «هو بكل شيء عليم» وهو أحكم الحاكمين؟ إذن لا بد وأن يكون هناك مجال للاتفاق بين ما يأتي من خالق العقل وبين العقل نفسه بحسب استعداده للتقبل والفهم وبحكم أنه المخاطب من قبل الله بحيث يمكن التوصل بالعقل، في داخل نطاق التعليم الإلهي، إلى آراء وتصورات من جانب الانسان لا تتناقض مع أصول التعليم[47].

(2) إذا كانت البشرية تمر الآن في رأي عديد من المفكرين بمرحلة الانتقال إلى مجتمع (ما بعد الحضارة) وأن على الإنسان أن يتخلص فيه من شراك أربعة:

شرك الحرب، شرك تزايد السكان، شرك التكنولوجيا، شرك توهم تناقص إمكانات الانسان بصورة تدريجية، فإن الانسان لن يستطيع هذا الخلاص والفكاك إلا إذا استغل جميع موارده الفكرية لخلق صورة للمستقبل أو مجموعة من الأهداف بعيدة المدى التي تؤكد إمكاناته المستقبلية غير المحدودة.

(3) العمل على تحقيق مزيد من إقامة العلاقات المؤثرة مع مراكز صنع القرار. لقد نجح دارسو المستقبل كعشيرة علمية في إجراء العديد من البحوث العلمية لكنهم لم ينجحوا في إقامة العلاقات المؤثرة على مراكز اتخاذ القرار السياسي ولا حتى العمل على أن يعتاد صانعو القرار الرجوع إلى الدراسات المستقبلية للاسترشاد بها في اتخاذ قراراتهم.

(4) على دارس المستقبل والمشتغلين (بعلمه)، أن يكونوا واعين دائماً بتأثيرات وانطباعات المسائل التي تثيرها والمناهج التي تطبق والافتراضات التي تبنى عليها هذه الدراسات فضلاً عن مسألة القيم والأولويات والتفضيلات.

---

(47) د. محمد عبد الهادي أبو زيد، الفلسفة تحديات منها وإلى الإسلام، أشغال ملتقى الفلسفة تحديات منها وإليها، 11-17 أبريل 1988، تونس، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ص 40. وقد فصل المؤلف في مزايا البحث العلمي لدى علماء المسلمين والمناهج التي ارتضوها مع المقارنة بنظرة علماء اليونان، ص ص 51-65.

(5) أيضاً من المرغوب فيه الوعي التام بتصنيف وتوضيح طبيعة الفجوة أو الثغرة بين الأشياء كما هي (كما سوف تكون) وبين الأشياء كما ينبغي (أو يجب أن تكون) فالعادة هي الخلط بينهما والتمييز واجب ومطلوب.

(6) الاعتراف دائماً بأن الصور أو التصورات عن المستقبل مثلها مثل النماذج التي نصممها للتفكير حوله، كلاهما مقيد ومشروط بفهمنا للحاضر ودراستنا الممعنة للماضي.

(7) ينبغي كذلك أن يكون التوجه نحو المستقبل توجهاً ديناميكياً وليس توجهاً هيكلياً استاتيكياً. التغير بلا شك صعب التفكير فيه وحسابه لكن العالم الحقيقي في حالة تغير دائم وعلينا أن نواجه هذه الحقيقة مباشرة.

خلاصة وتقويم (علم استقراء المستقبل)

إنه أمر عظيم الأهمية أن يتمكن العلم من توقع بعض خطوات التطور على المدى القريب أحياناً ويرفع بالمؤسسات المعنية لتواجه احتمالات مرتقبة سواء في حقل الصراع على الطاقة أو التضخم السكاني أو الكوارث الاجتماعية والطبيعية أحياناً، هذا ما يحدث في الدول المتقدمة.

على أن الأساليب والمناهج التي تستخدم في الدراسات المستقبلية بغية تقصي المستقبل والوقوف على ملامحه واستطلاعه، قد لا تسمح الآن بتكوين (علم) بكل معنى الكلمة ومن ثم تقبل الدراسة مقولة ان إطلاق وصف العلم على الدراسات المستقبلية هي تسمية مبالغ فيها نوعاً ما، مع الاعتقاد بأنها إذا كانت تجمعاً لعلوم قائمة تأخذ بالخصائص العامة للمعرفة العلمية، فإنها بسبيلها إلى أن تصبح علماً مستقلاً، أو هي الآن نظام معرفي يتوق إلى أن يصبح (علماً)، ولعل هذا ما يدفع البعض ـ مثل توفلر ـ إلى استخدام مصطلح المستقبلية بدلاً من علم المستقبل.

ومع ذلك يمكن القول بأن الرؤية المستقبلية توشك أن تكون (علماً) يستخدم جميع نتاجات العلوم كلها ويختزنها في ذاكرة واحدة لكشف علاقات القوانين السارية المفعول وإسقاطاتها على الظروف الآتية.

واختزان المعلومات هو الخطوة الأولى من اكتشاف نماذج هـذه العلاقـات ومدى انطباقها على المستقبل.

فهي إذن مادة العلم الأكبر الذي هو الاستراتيجية الحضارية الشـاملة التي تجعل صناعة المستقبل تعني في النهاية تحقيق ذلك الطموح إلى إعادة صناعـة الأمم والعالم

وبالتالي إعادة صياغة الوجود الإنساني حسب النموذج الأكبر لمن يمتلك التخطيط والقدرة على التنفيذ.

واستقراء المستقبل ليس في العلوم البحتة التي ينتظر منها التوصل إلى نتائج نهائية محددة بدقة فهي تتعلق بشيء غير موجود ولا يمكن أن يوجد، ذلك ان المستقبل يشير إلى فترة من الزمن لم تحل بعد وعندما تحل تصبح حاضراً، وهو في هذا يختلف اختلافاً أساسياً عن الماضي لأنه قد مضى فعلاً وهناك شواهد عليه، فالمستقبل الذي يتحدث عنه الإنسان يقوم في الذهن فقط أو في الصورة والخطط التي يرسمها له.

ومن الواضح مدى تأثير الأفكار المستقبلية الموفقة أو الناجحة في تقدم الإنسان وتأثيرها السلبي عند ما يجانبها التوفيق، وما ينطبق على الأفكار ينطبق على التقديرات حتى على تلك القائمة على الأرقام والحسابات، فقد ينجم خطأ جسيم من عدم توافر الاحصائيات أو عدم دقتها واكتمالها أو غير ذلك، وقد تنجم أخطاء بسبب الأهواء الشخصية عند القائمين على إجراء التقديرات وقد يكون مرد الخطأ ظهور مشكلات جديدة بسبب التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السريعة أو نشوب حرب غير متوقعة أو تعرض بلد ما لكارثة مفاجئة من كوارث الطبيعة.

ومع ذلك كله لا ولن يتوقف اهتمام الانسان بالمستقبل ولن تثنيه احتمالات الخطأ عن المضي في التطلع إليه واستطلاعه فهذا ما جبل عليه الإنسان ولا يمكنه الخلاص منه فضلاً ـ بطبيعة الحال ـ عن فوائد استطلاع المستقبل خاصة في الميادين التي يضيق فيها مجال الخطأ.

ويشعر المرء ببالغ الأسف لغربة الوعي العربي عن مثل هذا العلم الوليد ومؤسساته وفعالياته ونتائجه، والتي تفسر في الغالب الأعم بمشكلة الاحباط التي تعانيها النهضة العربية وتحريف مسار تنميتها الاجتماعية والمادية أو فلنقل غياب العلم من خلايا وأنسجة المشروع النهضوي العربي بافتراض وجوده.